

## سينماها

### «ليبوريو» الكاريبيّ

# أسلوب كلاسيكي عن بطلٍ ملحميّ

صاغ نينو مارتينيز سوسا في «ليبوريو» قصةً فلاح وفق نظرة تاريخية وإثنولوجية تعكس ما في سيرته من تنويعات قيمية وتراجيدية

فيس قاسم

ككلّ القصص التاريخية والدينية، التي يرتقي فيها العاديّ إلى مصافّ المقدّس، رفع سكان الكاريبيّ القصة الحقيقية للفلاح أوليفيرو ماتيو من عاديّتها إلى المقدّس. خلطت سرديات خيالهم، الجامح فيها، الروحي/المقدّس بالأرضي/الثوري. جعلوه قديساً. الحركات اليسارية والتحرّرية، في بدايات القرن المنصرم، صنعت منه رمزاً لنضال، ينشد خلاصاً من عبودية وهيمنة استعمارية. سموه، في مراحل، «قديساً»؛ وفي أخرى، لقبوه بـ«الأب ليبوريو». المؤرّخون اللاتينيون أطلقوا على حركته اصطلاحاً قاموسياً جديداً: «الليوريزم».

المخرج الدومينيكاني نينو مارتينيز سوسا (1976) يُعيد، في فيلمه «ليبوريو» (2021)، إنتاج مشترك بين جمهورية الدومينيكان وبورتوريكو وقطر،، صوغ قصته سينمائياً، وفق نظرة تاريخية وإثنولوجية، تعكس ما اجتمع في سيرته من تنويعات قيمية، ومسارات تراجيدية، ارتقت به إلى مرتبة أسطورية. شاعت في مناطق واسعة من أراضي الكاريبي. أنجز

سوسا فيلماً عن بطله الملحمي بأسلوب سينمائي كلاسيكي، رغبة منه في الوقوف خارج دائرة الهالة الكبيرة المحيطة بصاحب Cocote (إنتاج 2017)، المخرج الدومينيكانيّ نلسون كارلو دي لوس سانتوس أرياس (1985). وأيضاً بسبب أسلوبه المبتكر، وجعله بشجاعة نادرة أنساق مدارس سينمائية مختلفة، بدا فيها أرياس كأنه يكرس أعرافاً وقواعد مدرسية جامدة، تضع عراقية تاريخ إنتاج البلد شرطاً لظهور سينما مهمة فيه. وصفه بواضع جمهورية الدومينيكان على الخريطة السينمائية العالمية، ورائد السينما المستقلة فيها، ليس جزافاً، والابتعاد عن تأثيراته مطلوب من مخرج مثل سوسا، يعرف ما فيه من موهبة، تجيز له خوض مغامرة الكلاسيكيّ المحكم، وهو يتقدّم نحو تجسيد صراعات سياسية، وروحانيات كاريبية، تشابكت فيها المسيحية الوافدة بلاهوتية لاتينية هندية الجذور، سبقتها ثم توافقت معها. وكان على عدسات الكاميرا (35 ملم) استحضارها كما هي، بأقل درجات الضوء قوّة وأشدّها دفئاً، مُكلّفة بذلك حاملها (تصوير مذهل لأوسكار دوران) عبء استنباط تماثلات الوعي الجمعي الكاريبيّ بالصورة.

قصة ضياع الفلاح ليبوريو، وسط الأعاصير العاتية، وفقدان كل أثر له بين الجبال والغابات المطيرة، ثم ظهوره الفجائيّ مجدداً، تمهّد كلّها الطريق أمام المخيال الشعبي لنسج أسطورة حولّه، تحيل ابتعائه إلى قوّة غامضة (ما وراء الطبيعة)، أعانته على الخلاص، وأوكلت إليه مهمة بسط العدالة بين الناس، وأخذهم إلى الإيمان والتحرّز من شرور الجسد. عند خروجه من باطن كهف عميق مظلم، ادّعى امتلاكه قدرة عجيبه

## «فاحشة الثراء»: شخصيات موهلة في الغرابة

سعيد المزراحي

عبر مقالب بسيطة، تلتفت على القواعد الأمنية أو التجارية؛ خطط سطو آمنة وغير عنيفة؛ خدمات غير قانونية تضطرّ إلى التناكّر في هويات أخرى لتنفيذها في مقابل بضعة دولارات، أو تساعد طالبي الخدمات تلك في الحصول على شيء يبيعونه، أو إيصال بخدمة يرجعونها إلى الشركة الأم لاستعادة جزء من مقابلها نقداً.

هذه كلها وسائل يُعتمد عليها في سبيل حياة متحرّرة من الإغتراب، في ثقافة الاستهلاك (ميرندا جولي متأثرة بمدرسة «صنعها بنفسك» الفلسفية والفنية)، إلى درجة أنّ هؤلاء يدينون بانخفاض قيمة إيجار الفضاء حيث يبيتون، إلى فجوة بين الحيطان تؤدّي إلى تسرّب سائل رغويّ إليه من المصنع المجاور، المملوك من الشخص نفسه. هذا



ميرندا جولي، المايميدبا والفن المعاصر في خدمة السينما (فيسبوك)

يدفع بفكرة السيناريو، المرتكزة على أسرة تستفيد طفيلياً من ثغرات المظلومة. إلى أقصاها؛ وتريطنا، في الوقت نفسه، بأحد ثوابت أسلوب المخرجة (اكسبته من دون شك بفضل حساسية تفاعلات المايميدبا، في إطار ممارستها الفنّ المعاصر)، المتمثّل في إضفاء شاعرية حاملة على الفضاء، فتجذب بفضلها الحكى على أفاق دلالات أرحب، رغم تحدّره في الواقعية.

منظر أسرة، يتراكم أفرادها كي يتلقفوا أكوام الرغوة الوردية المتسربة من حائط المصنع المجاور، حتى لا تغمر فضاء عيشهم، هو بالضبط نوع المشاهد التي تبرع ميرندا جولي في خلقها من لا شيء، لكنها تقول كلّ شيء، حساسية من طينة السهل المتمتنع، تعبّر بلغة السخرية العابثة عن كلّ تعقيد، شرط الهشاشة (يكفي أن تنسى الأسرة موعد تسرّب الرغوة لتسقط في هاوية التشرد)، ووضعية الأسرة، رغم الأفاق الحاملة والمطمئنة، التي ترسمها ثقافة العرض والطلب في الخطاب السياسي والتسويقي المتداول (إنّها مجرّد رغبة وردية غير مؤذية، في نهاية المطاف).

لكنّ، بما أنّ لكلّ شيء ثمنًا، فتمن نمط عيش العائلة هذا إفراط الوالدين في الصرامة والتقيظ الحذر والدائم، الذي يصل بهما حدّ تكران أيّ معنى للمشاعر في وجودهما، والتحكّم في حركات ابنتهما وسكناتها، صانعين منها كائنًا متبلد الأحاسيس، أقرب في تصرفاته إلى الة من كائن بشريّ.

النص الكامل  
على الموقع الإلكتروني

## للتعليق النقديّ أولويات يُغيّبها بعض العرب

نديم جرجوره

الإشارة، بحماسة، إلى مشاركة فيلم في مهرجان وفوزه بجائزة، مُسيئة إلى الفيلم وصانعيه والعاملين فيه. أولوية المظهر تحجب، غالباً، مشاهدة متحرّرة من أحكام مسبقة، تفرّضها إشارة كهذه في بداية مقالة أو في مطلع تعليق إعلامي. القول بأهمية مشاركة فيلم ما في مهرجان وفوزه بجائزة، قبل التنبّه إلى أهمية اشتغالاته المختلفة، إخفاق في معاينة نقدية سليمة، ودليل على تسطيح في مقاربة الفنّون (وغيرها). يُشبّه الأمر ما يفعله آخرون: ربط فيلم بأسماء نجوم التمثيل. بذلك، يتغاضون عن المهنتين الأساسيتين: الكتابة والإخراج.

نجومٌ عديدون يُتّخرون حشّرية كثيرين للمشاهدة والمتابعة. هذا صحيح. لكنّ العمل الفني نتاج اشتغال كاتب ومخرج، أولاً النقد

(المارينز) لسحقها. الاشتغال السينمائيّ يأخذ سمات مرحلتين، منّ بهما مجتمع ليبوريو، ويتوافق معهما جمالياً. قبل التدخل الأميركي، وبعده. في الأول، الروحي طاغ. الأناشيد تأخذ مساحتها، فتحيل المشاهد إلى بهجة طافحة. الممثل فيسنت سانتوس يتماهى في دوره مع التكوين الروحي لليبوريو، ويجسد ببراعة شخصيته كزعيم لا تفارق كلمة استقلال شفتيه (جاء سانتوس إلى التمثيل من الغناء الشعبي، وهو راقص أصلاً). ما نجسده على الشاشة يتوافق بالكامل مع تكوينه. النغى هذا التماهي الحدود الفاصلة بين الدور الذي يؤدّبه والفنان الموسيقيّ. على الشاشة، هو فلاح مُنشد مع الجموع، وتوّاق إلى الحرية من ظلم إقطاعيين ومحتلّين. الكاميرا ظلّت دائماً قريبة منه. فحات عدساتها مكثفة بالنور الواهن (برتقالي) المقبل من مشاعل خافتة تنير المكان. الجموع (كومبارس) فلاحو المنطقة، ومنشود تراتيلها الدينية، بإيقاعات أصيلة لا تشبه مخيلاتنا في

### فب الوعي الجمعي الكاريبي فكرة التأسيس متجذرة أصلا

على شفاء المرضى وصنع المعجزات، صدّقه كثيرون، ومضوا معه في عزلة أنستت مجتمعاً عادلاً وطوبواياً واشتراكياً. روحه تغدّى على موسيقى وأناشيد دينية، استلهمت معتقدات عميقة الجذور، متأصلة بين فلاحيّ الكاريبي وبسطائه.

لم يدم عمر المدينة الفاصلة طويلاً. أخاف وجودها أثرياء الإقطاع، وقلّقه من خسارة فلاحهم، عبيدهم وقوت مزارعهم. تامروا وسرّبوا السلاح إليها. وبجحة وجود هذا السلاح مع الطامحين إلى الاستقلال، ومنعاً من توسيع رقعة مدينتهم المكتفة بذاتها، والناشرة قيمها التحريرية، خطّط الجنرالات الأميركيون



«ليبوريو»: عالم طوباويّ ينهبي (الملف الصحفي للفيلم)

كنائس المدينة البعيدة. أجواء الفصل الروحي مبهره. طقوس العالم الطوباوي بسيطة، كتكوينه، وفي متونها نواة حدث ماساوي دائماً، يحاكي مظلوميّتها. الصراع المسلّح ومقاومة الوجود العسكري الأميركي يمهدان، درامياً، لمرحلة ثانية وأخيرة من وجود المدينة الفاضلة. يقارب سوسا مفهوم «الاهوت التحرير»، المنتشر في أميركا اللاتينية منتصف ستينيات القرن الـ20، مميّزاً طبيعة نضالات القارة. يريد، بالإحالة الذهنية إليه، تكريس أبوة المصطلح، وجذر شجرتّه لـ«ليبوريو».

في الوعي الجمعي الكاريبي، فكرة التأسيس متجذرة أصلاً. لكنه أراد نقلها إلى العالم سينمائياً، بأكبر قدر من الإبهار البصري، المشفوع باشتغال مدروس على التفاصيل التاريخية والمكانية. لم يكتف بالمكتوب والشفاهي، لأنه أراد للبصريّ أن يستذكر فلاحاً، قاوم أعاصير عاتية، وأقام مجتمعاً عادلاً، لكنه سقط سريعاً برصاص بنادق جنود، نزلوا من متون سفن حربية أجنبية، رست قبالة سواحل الكاريبي.

## أقوالهم

دخلتْ عالم السينما صدفة. لنقلّ إليّ، إلى اليوم، ما زلت أشعر أنّي غير مُدرّكة أين سأتموضع الأمر محرر جيد لي أنّ أُحجّز في مهنة واحدة، وأنّ يُغلّق عليّ في مجال واحد. كلّ شيء يُثير اهتمامي. أتأمل عندما أعامل على أساس أمرٍ واحدٍ فقط، أو انطلاقاً من وضعي في مكانٍ واحدٍ فقط.



لويز بورغوان

بالنسبة إلى سينمائي، رائع أنّ يُورّع عمله بكثافة في العالم. لكنّ حضور الأفلام الأكثر التزاماً بالسياسة، والتي مواضعها أكثر جدليّة، معقّد ضمن شروط المنصات المنتشرة كثيراً حالياً. النصّات تتعاطى مع كلّ شيء على أساس مدى قدرته على الانتشار عالمياً. مضامين الأعمال يجب أنّ تُقبّل في باكستان والولايات المتحدة الأميركية والبرازيل والصين وروسيا في أنّ واحد.



برايان فوغل

تصلني مشاريع كثيرة من أميركا حالياً، تقترح عليّ أدواراً رئيسية. لذا، مُجبرة أنا على الاختيار. لكنّ، هناك سينمائيون فرنسيون أعشق العمل معهم، كعبد اللطيف كشيش، وجاك أودييار، ومايوين، وأندره تشيني. قبل كلّ شيء، أحبّ سينما المؤلف، «سينما الحقيقة».



## أفعالهم

The Nightingale لـ جينيفر كُنّت (الصورة): بعد 3 أعوام على تحقيقه، بات يُمكن مُشاهدة الفيلم الأسترالي هذا بنسخ جديدة من «دي في دي» و«بلو راي» و«فيديو عند الطلب». تلاحق كلير السجينة الإيرلندية السابقة، ضابطاً بريطانياً للانتقام لأهلها وعائلتها منه، بسبب أفعال رهيبية ارتكبتها ضدهم. تطلب مساعدة ساكن محلي لاقتفاء أثره، فتلتقي بيلي الذي له ماضٍ أليم أيضاً.



I Care A Lot لج. بلاكسن، تمثيل روزامند بيك (الصورة): بعد فترة من عملها كمدرّسة خاصّة بكبار السنّ، تجد مارلا نفسها أمام معضلة تتطلب منها تنبّهاً كبيراً، فأحد الذين تلتقيهم فجأة في صفّها «يمتلك ما يبحث عنه أناسٌ كثيرون». عليها إذاً إعمال ذكائها كي تكتشف المخبّأ قبل الآخرين.



Night In Paradise لبارك هون . جونج، تمثيل جيون ييو . بين (الصورة): يرفض قاتل اقتناص فرصة تغيير موقفه إزاء منافسه، فتقتل أخته وابنتها، ما يدفعه إلى قتل وحشيّ لرئيس العصابة المنافسة ورجاله، قبل فراره إلى جزيرة يلتقي فيها بامرأة مريضة.

